

جماليات تكرار القصة القرآنية ووجوه إعجازها من منظور بحر البيان أحمد صافي المستغامي

The aesthetics of repetition of the Qur'anic story and the aspects of its miraculousness from the perspective of Muhammad Safi Al-Mostaghanemi

حبّية إلزعر

جامعة حسيبة بن بوعلّي

elezaarhabiba@gmail.com

بختة عزوزي*

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

bakhtaz.azzouzi@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/03/15

تاريخ الاستلام: 2022/01/26

ملخص:

تعدّ اللّغة الأداة التواصلية الأولى بين البشر فدورها الإبلّغ والتبليغ، ولهذا فكل رسول بُعث بلسان قومه ليبين لهم المنهج الحق، وهذا ما كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى مقتضى أحوالهم وأساليبهم البيانية، وقد امتازوا بامتلاكهم ناصية القول فهم أرباب الفصاحة، لكن رغم ما امتلكوه من مقومات في هذا الجانب غير أن كلام الله أعجزهم، ولقد تعددت وجوه الإعجاز في النص القرآني بتعدد المنطلقات و اختلاف وجهات النظر، ويعدّ الجانب البلاغي أحد أهم وجوه إعجازه.

وتهدف الدراسة إلى رصد تكرار القصص القرآني الذي شغل مساحة ليست بالقليلة في خطابه، و أحد أهم وجوه إعجازه، ولقد شغل هذا الجانب العلماء منذ القديم وامتد لحد الساعة، وهذا ما سعى فضيلة الدكتور أحمد صافي المستغامي توضيحه من خلال برنامج البيان القرآني، ويتعلق هذا البحث بدراسة حلقات منه دراسة وصفية تحليلية، وإبراز جوانب جمالية هذا التكرار من منظور هذا الباحث البياني، وتكمن أهمية الدراسة في توضيح جهود علماء العصر المعاصر في الكشف عن بلاغة القرآن الكريم، رصد وتحديد البرامج التليفزيونية القيمة التي تتناول النص القرآني بالدراسة والتحليل، وتعريف المشاهد بأهم ما جاء فيه.

الكلمات المفتاحية: وجوه إعجاز القرآن، تكرار القصص القرآني، أحمد صافي المستغامي، البيان القرآني، دراسة وصفية تحليلية.

Abstract:

Language is the first communicative tool between humans, and its role is to inform, communicate, and for this, every messenger was sent in the language of his people to show them the straight path, which was the case too with the Prophet peace be upon him. The Noble Qur'an was spread in the language of the Arabs according to their conditions and rhetorical styles. The Arabs were famous for their eloquence; however, they were unequal to the words of God. There are many aspects of the miraculousness in the Qur'anic text with the multiplicity of premises and the difference in viewpoints, among them is the rhetorical aspect.

This study aims at highlighting the repetition of the Quranic stories which occupied a significant space in his discourse and one of its miraculous aspects. Scientists have been interested in this aspect since ancient time and extended to the present time. This is what Dr. Muhammed Safi Al Mosteghanemi sought to clarify through his program "the Qur'anic statement". This research is related to the study of his episodes through descriptive and an analytical study. It seeks to highlight the aesthetic aspects of repetition of the Qur'anic story from the perspective of the rhetoric researcher. In addition, the study seeks to clarify the efforts of contemporary scientists who explored the eloquence of the Holy Quran, as well identify the valuable channel programs that deal with the study and analysis of the Quranic texts and then introduce the viewer to the most of it.

The abstract refers to the importance of research, its problems and the most important results.

Keywords: Muhammed Safi al-Mostaghanmi, the Qur'anic statement, an analytical descriptive study.

تمهيد : نظرة على البيئة البيانية واللغوية للنص القرآني:

من نافلة القول التذكير بما تمتعت به العرب من قوة التعبير البياني، والشاهد على هذا هو ما تمتع به أديهم من رقي (بلاغي، فني، موسيقي) ولقد كان الشعر غذاؤها الفكري، ومفخرتها الاجتماعية، وسجل تاريخها، فاتصفوا بمقدرة شعرية عالية، و تصريف الكلام، وبلغت المعلقات درجة الكمال والاستواء الفني متجاوزة حد الإعجاز البياني، فهذه هي البيئة البيانية واللغوية التي أنزل إليها الخطاب القرآني فسأيرهم في تعابيرهم، واعتمد بيانهم وبلاغتهم حتى يتسنى الإبلاغ ويتم التلقي في أبلغ مستوياته ولكن بطريقة معجزة، فالكلمات هي كلمات عربية، والحروف هي حروف عربية، والقواعد والتراكيب كانت كذلك، ولهذا فقد استند الخطاب القرآني إلى أسس هما: ضمان عملية الفهم والإفهام للمتلقي، و تحديه المقدرة الإبداعية للبشر (الثقلين: الجن والإنس): ويتضح لنا هذا جلي في عدة مواضع من خلال تحديهم أن يأتوا بمثله حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾¹.

فجاء قمة في الفصاحة وذروة في البلاغة فتجاوز حد (الإعجاز)، فسماع كل ما ألفته الذائقة العربية.

2/ إعجاز الخطاب القرآني: إن المباشرة اللغوية والبلاغية التي أحدثها النص القرآني في النفوس، قد أدت إلى قيام البحث البلاغي واللغوي حول القرآن، إلى طرح مسألة إعجازه، والسعي إلى الكشف عن أسراره وكان السؤال الجوهرى عن مكن الإعجاز ومصدره، وهذه النقطة - البحث في وجه إعجاز القرآن الكريم - وسبب سموه ورفقه البياني على الشعر غذيت الدراسات القرآنية والبحث في إعجازه من الجانب البلاغي: فبرزت جملة من الدراسات من أهمها (النكت في القرآن للرماني، إعجاز القرآن للباقلاني، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني)،

ولقد أجمعت معظم الدراسات بالإعجاز البلاغي للنص القرآني وأكدت القصور الإنساني على الإتيان بمثله، وإن كانت معظم معجزات الأنبياء حسية ومعظمها انقرضت بانقراض أقوامهم وعصورهم، فإن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم وسيبقى إلا أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا تزال الدراسات تطالعنا في كل مرة بإعجازه، حيث لم تتوقف البحوث في هذا الجانب بل استمرت إلى عصرنا مؤكدة علو الخطاب القرآني وتساميه على أن يكون كلام بشري.

ومن بين أهم الدارسين له في العصر المعاصر الدكتور أحمد صافي المستغامي في برنامج البيان القرآني، وقد استوففته التكرار في القصص القرآني الذي بلغ من الإعجاز منزلة عالية، و من أهم سمات جمالية الخطاب القرآني وهذا هو موضوع دراستنا هذه الموسومة بـ: (جماليات تكرار القصة القرآنية و وجوه إعجازها من منظور بحر البيان أحمد صافي المستغامي)، في برنامج (البيان القرآني) الذي يعرض على قناة الشارقة، و بلغت عدد حلقاته 114 حلقة، وتحدد المحتوى الذي تم تحليله بثلاث حلقات، تمت مشاهدتها وتحليل محتواها، وتم مشاهدتها على اليوتيوب، وبالضبط في (موقع مداد) وهو موقع علمي شرعي.

وأما إشكالية الدراسة: يمكن تحديدها كالتالي: ما هي أهم مجهودات الشيخ أحمد صافي المستغامي في علاج بلاغة القرآن؟ كيف تكرر القصص القرآني؟

أولاً: أحمد صافي المستغامي وجهوده في دراسة بيان القرآن.

1/ التعريف بالأستاذ أحمد صافي المستغامي: هو فضيلة الدكتور أحمد صافي المستغامي الجزائري يحمل شهادة دكتوراه في اللغة العربية، تخصص البلاغة العربية، تقلب في عدد من الوظائف في ميدان التربية والتعليم في الجزائر، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة، يشغل في الوقت الراهن منصب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة، وهو عضو اتحاد المجامع اللغوية والعلمية، وعضو بالمجلس العلمي للمعجم التاريخي للغة العربية، مُعد ومقدم برامج تليفزيونية عديدة مثل: (البيان القرآني) في قناة المجد العلمية، وبرنامج في رحاب سورة في قناة الشارقة الفضائية له عدد من المؤلفات منها: (تصريف القول في القصص القرآني، دراسة مقارنة لقصة موسى عليه السلام، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع و وسائل الإمتاع، كيف تصبح فصيح اللسان، مفاتيح النجاح وسنن السعادة، بلاغة النظم في لغة الجسم في القرآن الكريم، الأساور المرصعة في أسرار الأحرف المقطعة، جواهر الدرر في علم مقارنات السور)² وإن هذه المؤلفات تعكس الاهتمام الكبير الذي يقدمه الأستاذ لبلاغة القرآن وبيانه، والتبحر في علومه وأسلوبه، بلغة فصيحة جزلة قوية، مع التألق والتألق في اختيار الأمثال والشواهد القرآنية أو الشعرية العربية،

فعرضها بأسلوب العصر، راعي فيها المتغيرات الثقافية، وبين جماليات الأسلوب القرآني وخصوصياته المتفردة عن غيره من الأساليب، و هذه الإنجازات جعلت من الأستاذ المصافي دوحة باسقة الأفنان، و واحة وارفة الضلال.

2/ التعريف ببرنامج البيان القرآني:

أ/ دلالة العنوان: قبل الخوض في التعريف بالبرنامج جدير بنا مناقشة عنوانه وما ينطوي تحته من خفايا حيث تحرص معظم الدراسات المعاصرة على الاهتمام ببيان دلالة العنوان، و لهذا سنقف على معاني:

• البيان: لقد جاء ذكرها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ

الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٥ حُسْبَانٍ ۝٦ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ

۝١ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٢ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٣ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ

بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٤﴾³ تعني كلمة البيان من الناحية اللغوية (الإظهار والإبانة)، وأما من الجانب

البلاغي فهو أحد علوم البلاغة العربية وهو " علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض"⁴ ولكن هذه الفرع - علم البيان - نشأ متأخر مع بلاغة (السكاكي) والشرح الذين جاءوا بعده والذي حُصر في (التشبيه، المجاز، الكناية بشكل عام) ، وهذا ما كشفته دراسات الناقد والمفكر محمد عابد الجابري " فلاشك أن الباحث سيرتكب خطأ كبير إذا هو اعتقد أن الاهتمام بـ: البيان، بأساليبه وآلياته وأصنافه كان من اختصاص علماء البلاغة وحدهم، هؤلاء الذين جعلوا من (علم البيان) أحد الأقسام الثلاثة التي ينقسم إليها علم البلاغة العربية (علم المعاني، علم البديع، علم البيان)، فالبلاغيون الذين اتجهوا هذا الاتجاه كانوا آخر من ظهر على مسرح الدراسات البيانية، كما أن تصنيفهم ذاك لعلوم البلاغة لم يتقرر بصورة نهائية إلا في مرحلة متأخرة، وبكيفية خاصة مع السكاكي، أما قبل ذلك فلقد كان مصطلح - البيان - يشمل كافة الأساليب والوسائل التي تساهم ليس فقط في تكوين ظاهرة البلاغة بل أيضا في كل ما يتحقق - التبليغ -، تبليغ المتكلم مراده إلى السامع، ليس هذا فحسب، بل إن البيان في اصطلاح رواد الدراسات البيانية - اسم جامع - لكل ما تتحقق به عملية الفهم والتبليغ بل أيضا لكل ما به تتم عملية الفهم والتلقي وبكيفية عامة التبيين"⁵ ومعنى هذا بأن - البيان - أكبر من مجرد حصره في جزء صغير يسمى بعلم البيان، فهو يضم كل الوسائل والآليات التي بها تتحقق الغاية من العملية التواصلية.

وأما دلالة الكلمة الثانية من العنوان هي: القرآني وهي منسوبة إلى القرآن وهو آخر الكتب السماوية نزولا تولى الله عز وجل حفظه من التحريف، نزل بلسان عربي مبين، ولكنه أعجز الإنس والجن بأسلوبه وبيانه، وما يزال هذا الإعجاز متواصل إلى يومنا هذا، وما تزال الدراسات حول بيانه متواصلة، وخير دليل على صدق كلامنا هو برنامج (البيان القرآني) الذي يسعى لإظهار جماليات البيان الرباني.

وهو عبارة عن برنامج تليفزيوني TELEVISION PROGRAM - محتوى مرئي مسموع- يعرض على شاشة تلفزيون القناة الفضائية المجد العلمية والمجانية، التردد التالي على القمر الصناعي نايل سات (الاستقطاب عمودي، معدل الترميز 27500، تردد القناة 124475، معامل الخطأ $\frac{3}{4}$)، وأما ترددها على القمر الصناعي عرب سات فهو كالتالي: التردد 12476، الاستقطاب عمودي، الترميز 27500، ولقد انطلقت القناة في يوم 17/ أغسطس/ سنة 2008م، تابعة لمملكة العربية السعودية، وتبث برامجها من المملكة الأردنية، و تهتم بالمجال العلمي والمعرفي الإسلامي خاصة، ويعرض فيها برنامج (البيان القرآني)، وهو عبارة عن برنامج حوارى من تقديم (أحمد الحمصي)، ومناقشة فضيلة الدكتور صافي المستغامي، ويبرز لنا هذا البرنامج أوجه البلاغة والجماليات اللغوية في القرآن الكريم، ومن أهم المحاور التي تم الوقوف عليها: بلاغة الإظهار والإضمار، التضمنين في التعبير القرآني، الاحتراس للمعنى، تكرار القصص القرآني، بشارة زكريا يحيى، قصة آدم بين البقرة والأعراف، الفاصلة القرآنية، الإظهار في مقام الإضمار، الاحتراس في التعبير القرآني، من بلاغة المتشابه اللفظي، بلاغة الأفراد والتشبيه والجمع، المخاطبون في القرآن الكريم، الطباق والمقابلة، أسلوب النفي في القرآن الكريم، الإبداع في البيان القرآني، وهذه المواضيع ثرية وتمس جميع جوانب الخطاب القرآني، وتشرح أسراره ومضامينه الثرية، وجوانب من بيانه، وتساعد المشاهد في تدبر النص القرآني ومقاصده، وفك المغاليق والأقفال التي تعيق الفهم، فمن أهم الوسائل التي تعين على فهم آياته وتدوقها هو معرفة الجوانب البلاغية واللغوية التي جاءت فيه، ومعرفة سياقها المتعدد من موضع لموضع، وبهذه الآلية تتضح روعة البيان القرآني ومقدرته التأثيرية العالية، و تبين إعجاز أسلوب هذا النص وتربط أجزائه، وعدم وجود اختلاف من أول حرف فيه لمنتهاه، فهو بيان سامي ومتسامي حير الأذهان والعقول، و لم تغب هذه الأمور عن ذهن المستغامي فهو الخبير في المجال، والباحث المتعمق، ولهذا فقد تمت المناقشة في حلقة مفردة أو سلسلة حلقات، في إطار حوارى شيق قام من خلالها صاحب العلم الفياض، بحر علوم البيان بشرح لطائف البيان القرآني وخصائصه المعجزة، وإخراج أسراره من حيز الإشكال إلى حيز التجلي.

ولقد جاءت الحلقات ضمن برنامج البيان القرآني بعنوان (تكرار القصص القرآني) و مدة كل حلقة خمس وعشرين دقيقة محملة من مواقع مداد، ونستطيع أن نقرر باليقين بأن فضيلة الأستاذ رصد من خلاله الأهم جوانب

التكرار القصصي والحكمة من هذا الإيراد المستمر لها، والأسرار الخفية من وراء هذا، وكانت المناقشة مميزة وقيمة، امتازت بذكر الشواهد القرآنية والإسهاب في شرحها وتوضيحها للمشاهد (العالم الخبير بالقرآن، أو الجاهل له)

ثانيا: ظاهرة التكرار القصصي في الخطاب القرآني.

1/ مفهوم التكرار: إن مفهوم التكرار اللغوي هو الإتيان بالشيء مرة بعد مرة أو المعاودة، ولقد ظهر التكرار بتشكيلاته المختلفة في النص القرآني، و كان من أبرز تجلياته (تكرار القصص القرآني)، و كان من الطبيعي أن يتردد التكرار بصوره المختلفة في الكثير من الآيات والسور القرآنية، فهو أحد أهم قنوات الخطاب الراقي والبلوغ، ولما له من تأثير، فلا أحد يمكن أن يخفي تأثيره في النفس، وخصوصا التكرارات القرآنية، ولقد استعان العرب قديما بالتكرار لأنه من الأساليب التعبيرية التي تقوي المعاني.

ومن الجدير بنا في هذا المقام الوقوف على ماهية القصة القرآنية إذا ما تجاوزنا حدها المعجمي الذي يعني: التتبع، رواية الحديث، فإن القصة القرآنية إحدى أهم طرائق الدعوة إلى الله، فهي أبرز الأساليب التي اعتمدها الأسلوب القرآني لتأثير في النفوس المتلقي، وسرد الوقائع الغيبية، ودعوة الرسل والأنبياء لأقوامهم، وفيها دعوة ضمنية للعقل البشري أن يتفكر في قوة الله وقدرته.

لقد امتاز ذكر هذه القصص في الخطاب القرآني بأساليب مختلفة، و شكل التكرار عنصرا مركزيا فيها، فلم يكن تكرار على مستوى الحرف، الكلمة، آية، بضع آيات، وإنما حفل النص القرآني بنبي تكرارية قصصية فتكررت القصة في مواطن عديدة وهنا في الحقيقة يُثار سؤال وهو: لماذا تكررت القصص القرآنية؟ والإجابة كانت مع الدكتور أمحمد صافي المستغامي في برنامج البيان القرآني حيث ذكر أهم مواطن تكرار القصة القرآنية والتي ارتأينا تفصيلها في الجدول التالي:⁶

القصة	مواطن التكرار	القصة	مواطن تكرارها
-------	---------------	-------	---------------

قصة موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل	لقد تكررت هذه القصة القرآنية في مواضع كثيرة ومن أهمها: البقرة، الفرقان، الأعراف، المائة الأنعام، الكهف، القصص، القمر، النمل، الشعراء، إبراهيم، الإسراء، فصلت، غافر، الذاريات، الأنبياء، هود إبراهيم، النساء، المائة، المؤمنون، العنكبوت، النازعات.	قصة يوسف عليه السلام. سورة واحدة وهي سورة يوسف.	جاءت متفردة في سورة واحدة وهي سورة يوسف.
قصة إبراهيم عليه السلام	وردت في عشرين موضع من القرآن ومن بين المواضع التي ذكرت فيها (البقرة، إبراهيم، الحج، الصافات، الأنبياء، مريم، العنكبوت، الأنعام.	قصة أصحاب الفيل، أما قصة ذو القرنين،	تكررت مرة واحدة في سورة الفيل.
آدم وحواء	تكررت في البقرة والأعراف، طه، الحجر، النساء، السجدة، الأنعام.	قصة صاحب الحمار.	وردت مرة واحدة في سورة البقرة

تحليل الجدول: لقد قمنا بتلخيص أهم مواطن تكرارات القصة القرآنية التي وقف عندها الأستاذ في برنامج بيان

القرآن، وبين لنا مغزى (البيان القرآني من تكرارها) بهذه الآلية، ولقد فصلناها وفق الخطوات التالية:

1/ السياق: لقد كان سياق السورة القرآنية هو مفتاح تكرار القصص القرآني وهذا ما أطلق عليه علماء البلاغة – مراعاة مقتضى الحال أو لكل مقام مقال- " فينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل من كل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم

أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات⁷ ولم تعدو القصة القرآنية هذه القاعدة فراغت مقتضى حال التنزيل.

و تكمن العلة الجمالية في هذا بأنه بهذه الطريقة التي اعتمدها الأسلوب القرآني تجنب التطويل في القصة، ولم يوردها مرة واحدة وإنما اختار ما يتناسب والسورة، وهذا من نلاحظه من خلال المقارنة التي أجراها الشيخ لقصة موسى في سورة البقرة التي ذكر فيه نعمه وفضله على بني إسرائيل حيث قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا

نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ

نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ

جَعَلْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٥٩﴾. حيث ذكر الله عز وجل نعمه الظاهرة والباطنة على بني إسرائيل،

وأما في سورة الأعراف فقد جاء ذكر لقصة موسى وبني إسرائيل ولكن من جانب مختلف تماما حيث يقول الله عز

وجل: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يٰ فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ ﴿٩﴾. فلقد رصدت السورة تاريخ البشرية والمعاصي التي اقترفوها وكيف عاقبهم الله عز وجل فلما جاء

ذكر هذه القصة تم اختيار مشاهد معاصيهم وذنوبهم والعقاب الذي حل بهم وتتجلى لنا الصورة بدقة من خلال

الوقوف على قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ

يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٥٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي

أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَبَعْدَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَسِرِينَ ﴿١٠﴾ وفي الحقيقة أن كثير من هذه المشاهد المذكورة في سورة طه - قصة السحرة ومواجهة موسى لقومه- ولكن الله عز وجل لم يذكر مشاهد عذابه لبني إسرائيل لأنها لم تتناسب مع السياق العام لها، والتي جاءت لتصوير عناية الله بكليمه، وأما سورة الكهف فقد وقفت عند قصة موسى مع الرجل الصالح ولم تذكر في موضع آخر تماما والسبب أن هذه السورة قد ذكرت قصص غريبة، فجاء البيان القرآني بالجانب الغريب من قصة موسى في هذه السورة حفاظا على السياق العام لها، وفي سورة الشعراء والإسراء ويونس جاء فيها إشارة لهلاك فرعون وغرقه، وأما سورة غافر فعرضت تمادي فرعون ورغبته في قتل موسى وظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم إيمانه.

وأما قصة إبراهيم عليه السلام فقد جاء ذكرها في سورة البقرة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ وأما في سورة إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا

وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١٢﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿١٣﴾ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾. و أما في سورة الأنبياء ركزت السورة على دعوة إبراهيم

(أعلى نموذج للهدوء) لقومه لعبادة الله بالحجة والبرهان، وذلك بتحطيمه للأصنام وجعلهم يقرون أنها لا تنطق، ومحاولة إحراقه ونجاته من النار بقدرة الله عز وجل فكانت بردا وسلاما عليه، وإذا ما تتبعنا ذكرها في سورة مريم فقد ذكرت بره بوالده ودعوته له لعبادة الله وخوفه عليه من عذاب الله واعتزاله له بالحسنى وقمة التأدب معه - سأستغفر لك- ، وهذا تماشيا مع سياق السورة التي بدأت بالحديث عن مريم وحملها ومعاناتها مع قومها.

لقد كانت العدسة التصويرية البيانية تلتقط ما يتناسب من مشاهد القصة وهذا للحفاظ على وحدة الموضوع، وكما تحكم السياق كذلك في تكرار بعض المشاهد من القصة بعينها في مواطن كثيرة لكن مع تغير اللفظ القرآني وهذا ما أسماه فضيلة الدكتور ب: التعاور والتعاقب ومن معانيه تكرر المعنى دون اللفظ ومن أمثله قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ^ط كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾. وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ رَبِّ

أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾^ط 14 فالعبر الأول - انفجرت - دلالة

على الكثرة والغزارة وأما في الموضوع الثاني - انبجست - دلالة على قلة الماء، والسبب هو السياق ففي الأول كان في مقام تكريم لهم وذكر نعمه عليهم، وأما في الثاني فيذكر غضبه عليهم وانتقامه منهم، ولقد كان السياق العنصر الفاعل والمتحكم في التكرار، ولقد أسهم في تحقيق وحدة الموضوع للسور، وإذا ما جمعنا هذه التكرارات للقصة اتضحت لنا معالمها الكاملة.

2/ تثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم: لقد جاءت بعض التكرارات مواساة لقلب النبي صلى الله عليه وسلم على دينه ومواساته له، ومن أمثلة هذه قصة موسى عليه السلام المذكورة في سورة القصص فهي السورة الوحيدة التي ذكرت لنا قصة: ولادته وخوف أم موسى على وليدها، فأوحى الله لها (أن أرضعيه، وألقيه في اليم) وأي قلب أم يطاوعها على فعل هذا بفلذة كبدها لكن بشرى الله عز وجل ويقينها بما جعلتها تقدم على هذا الفعل (لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)، وخلت هذه القصة من الحوار لأن الكلام موجه من الله تعالى لأم موسى، وتحققت البشارة الأولى فنشأ موسى في قصر فرعون، وشب فيه ووقعت حادثة قتله للقبطي وخوفه وخروجه في اتجاه مدين، وبعدها عودته وتكليم الله له في جبل طور، ولتثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم زادت من تأكيد هذا من خلال البشارة حملتها بين طياتها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾¹⁵ فمعنى هذه الآية حسب ما علق الأستاذ (أمحمد صافي المستغامي) " إنها بشرى الله لنبيه محمد فحتمًا

أنت خرجت من مكة لكنك ستعود كما عاد موسى وانتصر على فرعون" ¹⁶ وبالعودة لتاريخ نزولها نجد أنها جاءت متزامنة مع هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة، فلقد كان هنا الباعث النفسي للتكرار من ورائه تسليية النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الحق سينتصر، وأنت سترجع إلى مكة غانما منتصرا، وتكرر هذا التثبيت في سورة طه التي خاطب الله عز وجل صفيه عليه الصلاة والسلام وأنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى.

3/ أغراض دينية: جاءت القصة القرآنية إخبار عن الأمم السابقة، والرسول مع أقوامهم، فأسهمت في تبليغ الدعوة بعرض هذه الحقائق التي لا تقبل الإنكار والجحود، والتذكير بنعم الله عز وجل والتخويف من عذابه، ومن مثال هذه قصة آدم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَحَنُنٌ نَّسِيحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹⁷ فقد عرضت هذه السورة قصة بداية البشرية، فكان منطوق القرآن يستدعي تكرارها مرتين وثلاث وأربع حتى تترسخ في الأذهان، ولتثبت قلوب المؤمنين، وتكرر هذا الاستعراض في سورة طه (الآيات 117، 120) فكان الغرض من هذا التكرار هو الدعوة لعبادة الله الواحد والتحذير من الشيطان الذي أخرج آدم وحواء من الجنة.

4/ تفريق بين القرآن والسرد التاريخي أو السرد القصصي: لقد جاء التكرار باعنا للحياة في القصة القرآنية فمرة تأتي من أولها ومرة تعرض محطات من وسط القصة، وفي موضع آخر يأتي ذكرها من الأخير، ومحدث فرقا بينها وبين القصص التاريخية فلم ترد القصة كاملة في موطن واحد لهذا السبب وإن كان قد حدث هذا مع قصة يوسف حيث تم ذكرها مرة واحدة ودفعة واحدة، حيث بدأت قصته من صباه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾¹⁸ وحب أبيه له وغيره إخوته منه ومحاوله التخلص منه، ومكيدة له بإلقائه في الحب، وبيعه كعبد ونشأته في قصر عزيز مصر، وحب سيدته له، وسجنه ولقائه بإخوته وتحقق رؤياه فسجد له إخوته وأبويه، والسبب في مجيئها مفصلة هنا في هذا الموضع أنها مغايرة للقصص القرآنية الأخرى فهي لم تشهد معاناة نبي مع قومه، وإنما معاناة أخ مع إخوته، معاناته مع امرأة عاشقة له، ومرادتها إياه وسجنه بسبب هذا، ثم تفسيره للرؤيا وقدرته على التعبير وخروجه من السجن ليكون عزيز مصر ويتجدد اللقاء مع إخوته في عام القحط فهي قصة الفرج بعد الكرب، قصة تحقيق الأحلام، قصة الإيمان المطلق بقدره الله عز وجل، وقد "يحسب أناس أن هناك تكرارا في القصص القرآني لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد إنه ما من قصة أو حلقة تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"¹⁹ فقد خرج كرار إلى ظواهر بلاغية وجمالية وأهمها:

الإيجاز والحذف: لقد كان تكرار القصص القرآني في بعض المواطن بإيجاز شديد، وبعد الحذف من أبلغ الأساليب التعبيرية فهو "باب دقيق المسالك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجذك أنطق ما تكون، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"²⁰ و بعد أن بسط الله عز وجل القول عن موسى وقومه في العديد من السور القرآنية، أوجزها في بعض السياقات في آيات معدودة ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۝٢٥﴾
فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۝٢٦ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۝٢٧ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٨ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝٢٩ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۝٣٠ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝٣١ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ۝٣٢ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝٣٣﴾²¹ فأوجز هنا العديد من مشاهد القصة ونفس الشيء في سورة القمر.

دفع الملل والفتور: لو جاءت القصة القرآنية دفعة واحدة لأدى هذا إلى إحداث الملل في الخطاب القرآني - تعالى الله وكلامه عن هذا- ولما كان هناك فروق بينها والقصص البشرية الوضعية، ولهذا جاء التكرار الظاهري لأن في الحقيقة كل سورة تروي جانب معين من جوانب القصة الكلية، وباجتماعها تكون "لوحات تصويرية حية تبدو شاخصة للعيان بأشكالها الحيّة، وهيئاتها التي تموج بالحركة وبخطوطها وألوانها وأطلالها، بإجمالها وتلخيصها ودقائقها وتفصيلها"²².

الخلاصة:

● لقد كانت القصة القرآنية من أهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، فجاءت بأسلوب بياني مميز اعتمدت التكرار الظاهري وهو ليس تكرار مقصود لذاته بقدر ما هو آلية تأكيدية وترسيخ للعقيدة و الاعتناء بمعرفتها، والدعوة للعمل بها، و تبقى شاهدا من أهم الشواهد دلالة على عظمة البيان القرآني، ولقد اجتمعت في الخطاب القرآني ظاهرة التكرار مع القص فشهدنا تكرار القصص القرآني، بهذا النمط هو رمز تفرد وإعجاز لما تمتع به من إمكانات عجيبة في التناسق الفني من جانب البيان والبلاغة.

- يعدّ القصص القرآني وتكراره بأشكال مختلفة أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الخطاب القرآني فعمل على تقريباً لفهم من ذهن المتلقي، تعميق الفكرة في نفوس المؤمنة، وتعليمها أصول الشريعة، كان للتكرار دور في تلاحم السورة القرآنية وإقامة علاقات تربط بينها فتجعلها كاللحمة عن طريق بناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي، وشحنة وافرة من شحن التأثير المصعدة لحيوية القص الرباني بما يثير أفق المتلقي،
- لقد استخدم القرآن الكريم ظاهرة التكرار ولقد جاء هذا الاستعمال في أرقى صوره وأسمى مظاهره ولم يضيف التكرار على هذه القصص رونقا وجمالا وإنما أضافت هذه القصص لظاهر التكرار جمالا وروعة، ولقد تميزت هذه التكرارات القصصية بتنوع بياني وأسلوب متنوع، يعكس براعة النظم والتأليف، فلم تأتي هذه القصص ولا هذه التكرارات على هيئة واحدة وإنما تنوعت من حيث التنوع الصوتي والتركيبى والبلاغي، محتكمة إلى مقتضى حال التنزيل ومراعية السياق الواردة فيه.
- كل سورة لها شخصيتها ولها معالمها والقصة فيها عدة مشاهد وهو يعرض من المشاهد ما يناسب سياق السورة.
- ويعدّ الأستاذ أحمد صافي المستغامي من رواد الدراسات المعاصرة المختصين في دراسة البيان القرآني وتبيين وجوه هذا النوع من الإعجاز فيه.

الهوامش:

- 1- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 23.
- 2- انظر: أحمد صافي المستغامي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور- رؤية تأصيلية للروابط المضمونية واللفظية لمجموعات السور القرآنية-، دار ابن كثير، الغلاف الخارجي.
- 3- القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآيات من (1...9).
- 4- طبانة بدوي، معجم البلاغة العربية، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988م، ص 97.
- 5- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي- دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ط)، 1997م، ص 14.
- 6- أحمد الحمصي، برنامج البيان القرآني، شرح فضيلة الأستاذ أحمد صافي المستغامي، عنوان الحلقة التكرار في القصص القرآني - 1، 2، 3، WWW.MIDAD.COM تاريخ المشاهدة 29/ أكتوبر/ 2021م على الساعة 11:45.
- 7- أبو عثمان بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1975م، ص 139.
- 8- القرآن، سورة البقرة، الآيات 46- 49.
- 9- سورة الأعراف، الآيات 103- 105.

- 10- سورة الأعراف، الآيات 148-152.
- 11- القرآن، سورة البقرة، الآية 260.
- 12- القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآيات 35-36.
- 13- القرآن، سورة البقرة، الآية 60.
- 14- القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 160.
- 15- القرآن، سورة القصص، الآية 85.
- 16- أنظر: أمحمد صافي المستغامي، برنامج البيان القرآني، الحلقة الثانية من التكرار في القصص القرآني.
- 17- البقرة، آية 30.
- 18- القرآن الكريم، سورة يوسف الآية 4.
- 19- السيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، دار الشروق، 2008م، ص 64.
- 20- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، ص 170.
- 21- سورة الفرقان، الآيات 36-44.
- 22- عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006م، ص 130.

قائمة المراجع:

• القرآن الكريم

• المؤلفات:

1. أبو عثمان بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1975م.
2. أمحمد صافي المستغامي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور- رؤية تأصيلية للروابط المضمونية واللفظية لمجموعات السور القرآنية-، دار ابن كثير، الغلاف الخارجي.
3. السيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، دار الشروق، 2008م.
4. طبانة بدوي، معجم البلاغة العربية، دار الرفاعي، الرياض، ط3، 1988م.
5. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3.
6. عيد سعيد يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006م.
7. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي- دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (د.ط)، 1997م.

• مواقع الانترنت:

8. أحمد الحمصي، برنامج البيان القرآني، شرح فضيلة الأستاذ أمحمد صافي المستغامي، عنوان الحلقة التكرار في القصص القرآني -
1، 2، 3، WWW.MIDAD.COM تاريخ المشاهدة 29/ أكتوبر/ 2021م على الساعة 11:45.

*** **